ISSNص:. 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online atص:. https ص:.//wjfh.uowasit.edu.iq

OPEN ACCESS

Original article

The Andalusian Poem and the Expression of the Human Soul A Psycho-Sociological Study

Shaalan jalil Khudhair suhail Al-Atabi

College of Arts /Wasit University

ABSTRACT

The Andalusian poem was a revelation for the human soul about its feelings. The Andalusians resorted to nature, which constituted one of the most important areas of revelation. They used that nature to depict their feelings and sensations. The opinions of critics varied on the subject of Andalusian literature and its existence, and the value of the research appears through its attempt to explore the depths of... The world of Andalusian poetry and an explanation of the extent of the impact of the image drawn by poets on the expression of their feelings in the psychological and social aspects. And the extent of interest of ancient and modern critics in Andalusian literature, the artistic and creative value of this literature, and the extent of criticism's ability to cover its topics. The research follows the description-based approach in collecting data and analysis in an attempt to analyze the information to reach results.

***Correspondence author**ص:.
Shaalan123@uowasit.edu.iq

Received:08 May 2026
Accepted:20 **June** 2026
Published: 01 **August** 2026

DOI.
https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss3/Pt1.1959

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

Cite.
Al-Atabi, S. jalil K. suhail. (2026). The Andalusian Poem and the Expression of the Human Soul A Psycho-Sociological Study. Wasit Journal for Human Sciences, 22(3/Pt1). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss3/Pt1.1959

Keywords: Andalusian poem, self-revelation, psychological, sociological

القصيدة الأندلسية وبوح النفس الإنسانية دراسة نفسية سوسيولوجية

م.د. شعلان جليل خضير سهيل العتابي
جامعة واسط، كلية الآداب

المُستخلص

لقد كانت القصيدة الأندلسية بمثابة بوح للنّفس الإنسانيّة عن مشاعرها، فقد لجأ الأندلسيون إلى الطبيعة التي شكلت أحد أهمّ مجالات البوح، فقد كانوا يستعينون بتلك الطبيعة على تصوير مشاعرهم وأحاسيسهم، وتباينت آراء النقاد في موضوع الأدب الأندلسي وجدته، وتظهر قيمة البحث من خلال محاولته سبر أغوار عالم القصيدة الأندلسية وبيان مدى أثر الصّورة التي رسمها الشعراء على التعبير عن مشاعرهم في الجانبين النفسي والاجتماعي، ومدى اهتمام النقاد القدامى والمحدثين بأدب الأندلس، والقيمة الفنية والإبداعية لهذا الأدب، ومدى قدرة النقد على الاحاطة بموضوعاته، يتبع البحث المنهج القائم على الوصف في جمعه المعطيات والتحليل في محاولة تحليل المعلومات للوصول إلى النتائج.

الكلمات المفتاحية،ص. القصيدة الأندلسية، بوح النفس، نفسية، سوسيولوجية

المقدمة:

لقد ترك لنا العرب في الأندلس تراثاً أدبيّاً إبداعياً يتسم بالعظمة، إذ شكل أحد أبرز المراحل في تأريخ الأدب العربي، بما تميز به من تنوع في الأغراض، وثراء في الصور الفنية، وجمال الأسلوب، والقدرة على التعبير عن التجربة الإنسانية في مختلف الميادين، وقد اختلفت آراء النقاد والمحللين حول أصالة الأدب والتراث الإبداعي في الأندلس ولكنهم اتفقوا جميعًا حول رقة هذا الأدب ودماثته وهي خصائص ترتبط بطبيعة البيئة الأندلسية التي أثرت على نفوس الشعراء، لما تمتاز به من جمال ورخاء وانسجام.

لجأ الأندلسيون إلى الطبيعة التي شكلت أحد أهمّ مجالات البوح، كما كانوا يستعينون بتلك الطبيعة على تصوير مشاعرهم وأحاسيسهم، وتباينت آراء النقاد في موضوع الأدب الأندلسي وجدته.

وقد حظي الأدب الأندلسي بعناية كبيرة في الدراسات الأدبية الحديثة التي بدأت تتزايد في حقل الأدب الأندلسي، وهي تلقي كثيرًا من الضوء على حقائقه الغامضة، إذ سعت تلك الدراسات للكشف عن خصائصه الفنية والجمالية، وإبراز مظاهر تميزه، وتحليل علاقته بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه.

أسهمت تلك الجهود في إعادة قراءة النصوص الأندلسية من زوايا مختلفة، فلم تقتصر على الجانب التاريخي أو البلاغي، بل اتجهت إلى الإفادة من المناهج الحديثة وفي مقدمتها المنهجان النفسي والسوسيولوجي، لغرض الكشف عن طبيعة الخطاب الشعري ومدى علاقته بالنفس الإنسانية والمجتمع، فكل باحث جاد يخطو خطوة لاحقة في الطريق، ويقدم من الآراء ما يكون موضع التحليل والتمحيص، وذلك كسب كبير!

وقد كانت القصيدة الأندلسية بمثابة بوح للنّفس الإنسانيّة عن مشاعرها، إذ وجد الشاعر الأندلسي في الشعر وسيلته للتعبير عن خلجاته الوجدانية، وأحاسيسه العميقة، وما يعتري النفس من حب وشوق وحنين وأمل وألم، فلم يكن هذا البوح بصورة مباشرة إنما

تجلى من خلال لغة شعرية موحية، وصور فنية نابضة بالحياة، استمدت عناصرها من الطبيعة الأندلسية بما فيها من أنهار، وبساتين، ورياض، وأزهار، فكانت الطبيعة مرآة تعكس العالم الداخلي للشاعر وتجسد حالاته وانفعالاته النفسية.

لم تكن القصيدة الأندلسية منعزلة عن محيطها الاجتماعي ، بل هي وثيقة فنية عكست قيم المجتمع الأندلسي، وأنماط حياته، وعلاقاته الإنسانية، وتنوعه الثقافي ، الأمر الذي جعل قراءتها في ضوء المنهج السوسيولوجي للكشف عن التفاعل التام بين البنية النفسية للشاعر والبنية الاجتماعية التي عاشها ، ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة ، التي تسعى إلى الوقوف على مظاهر بوح النفس الإنسانية في القصيدة الأندلسية من منظور نفسي سوسيولوجي ، للكشف عن الكيفية التي تحولت فيها التجربة الشعورية للشاعر إلى خطاب شعري يعكس شعور الإنسان والمجتمع في وقت واحد .

تظهر قيمة البحث من خلال محاولته سبر أغوار عالم القصيدة الأندلسية وبيان مدى أثر الصّورة التي رسمها الشعراء على التعبير عن مشاعرهم في الجانبين النفسي والاجتماعي، ومدى اهتمام النقاد القدامى والمحدثين بأدب الأندلس، والقيمة الفنية والإبداعية لهذا الأدب، ومدى قدرة النقد على الاحاطة بموضوعاته.

يهدف البحث إلى التعريف بأدب الأندلس وإلقاء الضوء على أهميته، وبيان مدى قدرة القصيدة الأندلسية على التعبير عن خلجات نفس صاحبها، وبيان مدى قدرة القصيدة الأندلسية على التعبير عن علاقة الشاعر مع مجتمعه.

ينطلق البحث من الإشكالية التي تتساءل حول قدرة النص الأندلسي على التعبير عما كان يجول في دواخل الشعراء وكيفية توظيف الصّورة لخدمة هذه الدلالة، ويطرح البحث مجموعة من الأسلة من بينها ما أهمية الأدب العربي في الأندلس؟ ، كيف وظف الشعراء صورهم لنقل مشاعرهم وأحاسيسهم؟ ، كيف عبر شعراء الأندلس عن علاقتهم مع المجتمع من خلال لغتهم التصويرية؟

يتبع البحث المنهج القائم على الوصف في جمعه المعطيات والتحليل في محاولة تحليل المعلومات للوصول إلى النتائج.

المبحث الأوّل،ص. المرجعيات الفنية والسوسيولوجية للقصيدة الأندلسية

المطلب الأول،ص. الخصوصية الفنية للقصيدة الأندلسية ومرتكزاتها النقدية

يعدّ الأدب الأندلسي صفحة مشرقة في الموروث الأدبي العربي، وقد اجتمع عدد من النّقاد على القول بمحاكاة هذا الأدب للأدب المشرقيّ واختلفت الآراء حول هذا الموضوع، وقد ازدهرت الفنون الأدبية في عصر الأندلس وكان مما ساعد على ازدهارها تطور الحياة الاجتماعية، والاتصال الثقافي بالمشرق من جهة وبالمغرب من جهة أخرى.

و قد دخلت المؤلفات المشرقية إلى الأندلس منذ زمن مبكر، وتتلمذ عليها مثقفوها، فلا عجب أن تطبع آثارهم وإنتاجهم بطابعها، ومع ذلك لم يفقد الأندلسي شخصيته أو تطمس ملامحه، ففي انتاجهم خير دليل على ذلك ففيه ما يعطى أدق مشاعرهم الوجدانية وأصدق معالمهم الاجتماعية والبيئية، فلا يعني التأثر دورانهم في فلك المشارقة وضمن آفاقهم فحسب دون إرادة أو أصالة، ولا يعني تسلل فكرة أو صورة أو خاطرة إلى إفرازهم الأدبي ضياع للشخصية وفقدان للابتكار والإبداع، فعبر تاريخهم الأدبي الطويل برز شعراء كبار لهم أصالتهم ومواهبهم وفنهم المميز لهم عن غيرهم .(فروخ ، 1981م، ص. 78)

ويمكن القول إنّ دخول المؤلفات المشرقية إلى الأندلس كانت أحد دوافع نشأته ولا يمكن إنكار أثرها في تلك النشأة، ولكن في الوقت نفسه لا يمكن المبالغة في تصوير ذلك الأثر والحط من قيمة الأدب الأندلسي.

لقد ظل التراث المشرقي نموذجًا يحتذى به عبر عصور الأندلس الأدبية كلها، لكنه يتفاوت من فترة لأخرى في مدى التأثر وعمق الصلة ومقدار الأخذ، كما يتفاوت من شاعر لآخر أيضًا، غير أن ذلك الاحتذاء والتأثير والتقليد لا يعني انعدام شخصية الشاعر الأندلسي، لأن مجرد قول الشاعر قصيدة في بحر قصيدة أخرى وقافيتها وموضوعها لا يدل على تقليد مطلق للشاعر السابق، وكما لا يعني انعدام شخصية الشاعر المتابع، وهذا ما ذهب إليه عدد من الدارسين ومنهم الدكتور عمر فروخ (حميد ، 1964، ص. 58) ، والدكتور بدير متولي حميد (شلبي ، 1978م ، ص.195) ، والدكتور سعد شلبي فقد قال: "التقليد نفسه شخصية، وشخصية إيجابية يجب أن نعرفها للمقلدين، فعندما يستعير أدب من أدب مقلداً أو محاكياً، فأن ذلك أنما يدل على إيجابية الأديب ونمو شخصيته، ففرق بين ذلك وبين أن تقف الأمة أو الأفراد مكتوفي الأيدي ينظرون في ذهول ودهشة إلى النماذج الأدبية الرائعة ويكتفون بالتصفيق لها والتهليل، ومن هنا يجب أن لا نقلل من شأن أخذ الأندلسيين من المشارقة أو نسجهم على منوالهم، أو أن نبالغ فندعي إلا شخصية لهم" (شلبي ، 1978م ، ص. 195).

وملخص هذا الكلام أنّ العملية الإبداعية عملية قائمة على التأثر والتأثير، وهذه العملية ديناميكية حركية موجودة مع الأدب في كلّ زمان ومكان، فقد تأثّر شعراء الإسلام بالشعر في العصر الجاهلي، فكيف بشعراء المغرب ألّا يتأثروا بشعراء المشرق والعكس صحيح، فالعمليّة الإبداعية هي نتاج تشابه ثقافات، ونتاج حركة قائمة على التواصل بين أبناء الإنسانيّة، ولكن هذا لا يعطينا الحقّ في تقييم أحدهم على حساب الآخر.

ولا يصحّ القول إنّ أسس التشابه التي نراها بين شعراء المشارقة وشعراء الأندلس هي عبارة عن تقليد بقدر كونها عبارة عن تلاقح ثقافات، فهي عمليّة قائمة على أساس الأخذ والعطاء، وعمليّة لا يجب أن يتمّ تقييمًا بهذا الشكل الّذي يقيّد رسالة الأدب.

لا شك أن تقليد الأندلسيين للأعلام المشارقة إنما كان إعجابًا بالاتجاه الشعري أولًا، ورغبة في إثبات مقدرتهم ثانيًا، وقد أشار الدكتور أحمد هيكل عن أبرز دواعي المعارضات _بشكل عام_ ووجد أنها تتمثل في محاولة الأندلسيين التفوق على سابقيهم المشارقة ... وهم في ذلك مدفوعون بروح القومية الأندلسية التي كانت تدعوهم دائمًا لتأكيد ذاتهم وإبراز جهود بلدهم. (هيكل، 2010م، ص. 259).

وقد يكون كلام الدكتور أحمد هيكل صحيحاً من حيث كونه ألقى الضّوء على المفاضلة في القدرة الأدبية بين أدباء المشرق والمغرب، ليكون الأدب الأندلسيّ قائماً بذاته لا يجوز ربطه بسابقه ولا يجوز اقترانه به إلا من حيث قدرته على التّعبير عمّا في نفس العربيّ وعن خلجاته.

- **الأدب الأندلسي من وجهة نظر النقد،ص.**

أخذ ابن بسام يتعقب المعاني الشعرية فيرجعها إلى مبدعيها الأوائل وأصحابها الشرعيين، فأخذ يتتبع محاسن أهل بلده وعصره غيرة عليها فقد قال: " وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان وخص أهل المشرق بالإحسان؟ وقد كتبت لأرباب هذا الشأن... محاسن تبهر الألباب وتسحر الشعراء الكتاب ... وأودعت هذا الديوان من عجائب عملهم وغرائب نثرهم ونظمهم ما هو أحلى من مناجاة الأحبة بين التمتع والرغبة، لأن أهل هذه الجزيرة كانوا رؤساء خطابة وشعر وكتابة" (هيكل، 2010م، ص. 12_14)، وهو بهذا ينكر على أهل الأندلس تأثرهم بأهل المشرق وتتبعهم لهم من خلال عودته إلى المعاني القديمة للكلمات وإرجاعها إلى أصلها ونفي أن يكون أول استعمالها على يد أهل المشرق.

وهناك جانب آخر من جوانب النقد القديم في موضوع الأدب الأندلسي وهو جانب إظهار المحاسن والأمور الفريدة، التي تفرد بها أهل الأندلس عن غيرهم، فنجد تفردهم بالموشحات التي ذكرها ابن الخطيب قائلاً: "الموشحات هي زبدة الشعر وخلاصته، جوهره وصفوته، وهي من للفنون التي أغرت أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق " (ابن الخطيب، 1997، ص. 132)، فنجد هنا تحولًا من كون الأدب الأندلسي متأثرًا إلى كونه مؤثرًا، فقد كانت الموشحات رسالة أهل الأندلس العذبة.

ومن الموضوعات التي تكتنفها الجدة والفرادة هو موضوع توظيف الربيع بزهوره وطيوبه للحديث عن أغراض أخرى وهو ما سموه الزهوريات وعنه قال الحميري، ص. " إن أحق الأشياء بالتأليف وأولاها بالتصنيف، فأغفل عنه المؤلفون ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس إليه وتلقاها القلوب بالحرص عليه وفصل الربيع آرج وأبهج. وآنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحد حسن ذاته وأعد بديع صفاته" (الحميري، 1997، ص. 3)، فقد كان لدماثة طبيعة الأندلس وبيئتها الراقية دورًا كبيرًا في التأثير ليس على الأدب المشرقي وحده بل على الأدب العربي بشكل عام.

ويتحدّث النقاد عن تفرد أهل الأندلس في اختيار المصطلحات والكلمات ففي وقوفهم على مصطلح الرسالة نجد أنّ (الأدباء الأندلسيين) يطلقون لفظ رسالة على ما ينشئه الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض، ويوجهه إلى شخص آخر، ويشمل ذلك الجواب والخطاب، كما كانوا يطلقون لفظ رسالة أحيانًا على القصائد والمقطوعات الشعرية التي ينظمها الشاعر على شكل خطاب موجه إلى صديق أو غيره في أي موضوع، كما ذكر بأن هناك ألفاظ مرادفة لمصطلح رسالة في الأدب الأندلسي كلفظ (كتاب) وهو يدل على ما يدل عليه لفظ رسالة في الأدب الأندلسي، ولفظ (صحيفة) (وقد أورد أمثلة على ذلك)(القيسي ، 1989، ص. 78 –82)، كما تتسم هذه الرسائل بالتأنق في اختيار الكلمات وكثرة الدعاء والتحميدات والمجاملات، مع الاقتباس من القرآن والحديث الشريف، والشعر العربي (العربي ، 2003م ، ص. 209).

وبذلك نجد تعدد الفنون الأدبيّة وتجديدها في الأدب الأندلسي، ولا تصحّ المقارنة بينه وبين الأدب المشرقي على نحو المغالاة التي جاء بها بعض النقاد.

ونستطيع القول إنّ تناول مجالات الجمال في الأدب العربي متنوعة، فالجمال الأدبي موجود في كثير من مكوّنات الشعرية في (اللغة، والتركيب، والمعنى، والبلاغة، والصور البلاغية) وهذه المكونات هي التي تسخر نفسها للحكم على العمليّة الإبداعية في الأدب ولا نستطيع أن ننفي القيمة الإنسانية التي ترافق البناء الجمالي الفني ، فالفن رسالة والأدب من أكثر أنواع الفنون توصيلًا للمشاعر والخلجات (ستولينتيز ، شبر ، 2010م ، ص. 531 ، 109) وبذلك علينا أن ننظر إلى الأدب الأندلسي بوصفه كيانًا مستقلًا عن غيره ولا يمكن النّظر إليه بكونه مكملًا من مكملات الأدب الأندلسي.

وإذا أردنا الوقوف على أدلة هذا القول نستطيع أن نجد في طيّات الكتب وبين قصائد الشعراء الأندلسيين، وفي تفاصيل كتاباتهم النثرية كثيرًا من الملامح الإبداعيّة التي يتفردون بها عمّا جاء به المشارقة، ومن نماذج إبداعهم الجماليّ ما نجده مصروفاً كالدّرّ في ثنايا الشّعر الأندلسيّ الّذي تشرّب شعراؤه الجمال من طبيعة بلادهم وسحرها، فجلت نفوسهم وجعلتها خير متذوّق لهذا الجمال

الحقيقيّ، وقد كانت ملامح الجمال المنورة في ثنايا الطبيعة إحدى المظاهر التي وقف عندها الشّاعر الأندلسيّ، وكذلك من ابتداعهم لكثير من الفنون الكتابية الفنية والنثرية.

المطلب الثّاني: البنية السوسيولوجية للغة الشعرية،ص. –

تعدّ اللغة ظاهرة فردية اجتماعية، وقد كان لظهور اللسانيات الاجتماعية نوعًا من التجاوز الواضح للفكر التقليدي للغة وهو يعدّ نقلةً نوعية بالرغم من تعرضه للنقد من قبل الأفكار والمذاهب الأخرى (بوفرة، 2015م، ص.6) ويمكن القول: إنّ هذا النمط من الدراسة اللغوية يعرّف بكونه " دراسة لعلاقة اللغة بمجتمعها "(هدسون، 1990م، ص.12) وهو يهتم بالوقوف على " وظيفة اللغة الاجتماعية" (بوقربة، 2003م، ص.5).

جاء (فرديناند دي سوسير) ليَنمي هذا الاتجاه ويطوره فاللغة عنده بشكل أساسي ظاهرة اجتماعية، يجب أن ندرسها في ضوء العلاقة بينها وبين من يتحدث بها، مع الأخذ بنظر بالاعتبار حالتهم النفسية وكونها معبرة عن مشاعرهم وخلجاتهم، وجميع المؤثرات فيها ترجع إلى المجتمع والظواهر الاجتماعية (بوقربة، 2003م، ص.35) وعليه يجب دراسة اللغة من جميع جوانبها، كما أنها تستمد سلطتها من الخارج أي المجتمع المحيط بها.

ويمكن القول،ص. إنّ علم اللسانيات الاجتماعية قد ظهر في كنف (سوسير) وبخاصة في تلك المرحلة التي قام (سوسير) فيها بوضع القواعد لما يعرف باللسانيات البنيوية، والتي تهتم بدراسة البنى الداخلية للغة ما، ونستطيع القول،ص. إن الفرنسي (أنطوان مييه 1936–1886) هو أوّل من قدّم لهذا المصطلح من خلال تركيزه على العلاقة بين كل من اللغة والمجتمع، وكان قد تأثر بفكر (دور كايم) الذي كان عالم اجتماع له ثقله في ذلك العصر. (بوقربة، 2003م، ص. 2).

المبحث الثّاني: تجليات بوح النفس الإنسانية

المطلب الأوّل: التشكيل الصوري

إنّ رؤية المبدع في نصه تستوجب لغة خاصة قادرة على التعبير عن هذه الرؤية، وإذا أراد أن يقدمها بلغة شعرية فسوف يبتعد عن اللغة العادية "وهنا يكمن سرّ الشعر، أي تكمن الخاصية الشعرية في التعبير عن عالم تقف أمامه اللغة العادية عاجزة، فهذه اللغة محدودة في حين أن هذا العالم غير محدود" (أدونيس ، 2019م، ص. 297) ،وتضيق حدود اللغة العادية ، الذي يرغب الأديب في الكشف عن رؤيته بطريقة مغايرة، فهو يرى الواقع، وينتقده، ويعالج قضايا أفراده، لكنه حين يعتمد الخصائص الشعرية في سرده فإنه يقدم رؤيته بطريقة فنية تخلو من المباشرة في القول، وتبتعد عن التعبير التقريري الجاف الذي لا يملك أي ملمح فني.

تتبدى شعريّة اللغة من خلال توظيف اللغة الإبداعية، يقول:

وواعدتـــــها والشمس تجنح للنّوى بزورتها شمساً وبدر الدّجى يسري

فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدّجى وطوراً كما مرّ النسـيم على النّهر

فعـــــطّرت الآفـاق حولي فأشعرت بمقدمـــها والعرف يشعر بالزهر (المقري التلمساني، 1997م، ص. 199)

يوظّف الشّاعر الاستعارة (الشمس تجنح للنوى) فيخيّل للقارئ أنّ الشمس تحوّلت إلى سفينة تجنح في عرض البحر محاولة الابتعاد، في هذا الزمن الّذي يدلّ على الغياب والتلاشي والرّحيل وكأنما يخبرنا الشّاعر بقرب ابتعاد الأمل في بيته الأول، بينما يتغيّر المشهد عند قدوم المحبوبة حيث يوظف الشّاعر اللغة الشّاعريّة في التّعبير عن مجيء المحبوبة من خلال توظيف التشبيه التمثيلي ففي الشطر الأول من البيت الثاني تأتي المحبوبة فيشبه قدومها بطلوع سنا الصبح وما يحمله بين طياته من دلالات على الأمل ومحاربة الفراق الأوّل، وهو يوظف الاستعارة في قوله (كما يمشي سنا الصبح) فيجعل سنا الصبح يملك الفاعلية والقدرة الإنسانية على المشي وهو بهذا يوظف التشخيص، ويجعل بمرور المحبوبة أثره الطيب الّذي يشبه أثر مرور النسيم على النّهر وما تحمله تلك النسمات.

تظهر شعرية اللغة من خلال قدرة الشّاعر على التّعبير عمّا يختلج نفسه من مشاعر الحب والإعجاب من غير أن يعبر بطريقة مباشرة، فهو يلجأ إلى توظيف الاستعارة والتشخيص والتشبيه في كلّ مرة يريد التعبير بها عن مشاعره لتظهر انفعالاته واضحة وتلفت انتباه المتلقي إلى ما يختلج نفسه.

ونجده يكمل قائلاً:

فتابعت بالتـــقبيل آثار سعيها كما يتقصّى قارئٌ أحرف السطر

فبتّ بها والليل قد نام والهـوى تنبّه بين الغصن والحقف والبدر

أعانقها طــوراً وألثم تــارةً إلى أن دعتنا للنوى رايـة الفجر

(المقري التلمساني، 1997، ص. 198 – 199)

يوظّف المريني لغةً حالمة في وصفه للمحبوبة وتصوير أثر مرورها في نفسه، فالشّاعر يتتبع آثار مشيها بالقبل والتقبيل وهو لا يجعل هذه الصّورة تمرّ مرور الكرام وإنما يرصعها بالتشبيه والاستعارة، فقد وظّف التشبيه التمثيلي فشبه تقبيل آثار سعيها بدقة وتواني بتقصي القارئ للأحرف في السّطور، وهو لا يترك التخييل هنا، فنجده يحملنا إلى عالم أحلامه إذ رافقته تلك الحبيبة إلى أحلامه، ونجد يقول (الليل قد نام) موظفاً الاستعارة التشخيصيّة ليدلّ على سكون كلّ شيء واستكانته، ولكنّه في المقابل يقول الهوى تنبه) فيضفي عليه صفة اليقظة ليجعل كل شيء ساكنًا ما عدا الهوى الّذي تنبّه واستفاق ليداعب الأغصان ويزين تلك الليلة التي يضيئها البدر.

وفي حلم الشّاعر ينعقد اللقاء، فهو يلتقي محبوبته ويعانقها ويقبلها لاثمًا فتظهر أجمل صور الحبّ الإنسانيّ واللقاء، لنجد أنّ سني الصبح الّذي شبّه به المحبوبة وكان موطنًا للأمل ومشيرًا إليه أضحى سببًا من أسباب الفراق مرّة أخرى، فهو سبب يقظته من أحلامه.

فبعد أن كان الغروب في بداية الأبيات دالًا على الفراق أضحى انبلاج الفجر مرة أخرى مؤكدًا على هذا الفارق، فقد وظف الشّاعر اللغة الشعريّة المرصعة بالاستعارات والتشبيهات ليعبر عن خلجات نفسه، وشدّة تعلقه بالمحبوبة وحبّه لها.

وقد كان لطبيعة الأندلس سحرها الّذي جعل شعراءها ينطقون جمالًا أخاذًا ويعبرون عن تفاصيلها ومن بين هؤلاء ابن خفاجة الأندلسي الّذي اشتهر بقصائد وصف الطبيعة، فنلمح في تصويره هذا لوناً من ألوان الفرح والغزل والحب، فهو يقول:

ياهزّةَ الغصْنِ الوَريقِ وَبَشَاشَةَ الرَّوضِ الأَنيقِ

أَأَتَتْكُمَا بُشرَى بسُقيَا أَمْ سَلَامٌ مِن صَـــديقِ

(ابن خفاجة، 2006م، ص. 228)

إنّه في هذه الأبيات يصوّر حالة الفرح الّتي تعمّ الأرض من خلال اهتزاز الأزهار، واخضرار الأرض وتفتحها، ويتساءل عما إذا كان سبب هذا الاستبشار هو الوعد بالمطر أو سلام من صديق حبيب، ليصور الطبيعة بحركيتها وجماليتها، وحالة الفرح هذه هي التي تختلج نفسه وهي التي تبدو واضحة على معالمه، وهو يحاول إيصال شعوره هذا إلى متلقي شعره، ويحاول أن يرسم صورة للسلام الدّاخليّ الّذي تعكسه الطبيعة على النّفس الإنسانية في بوحها.

ومن الشّعراء الّذين استوحوا صورهم من الطبيعة الجميلة التي تبعث السرور في النفس المتلقي وفي وصف الجدول يقول الشاعر:

ومطرد الاجزاءِ يصقل متنه صباً اعلنتَ سرَ الندى في ضميرهِ

كأن جبابا ريح تحت جباية فسارع يرمي نفســـه في غديـر (ابن عمار، 1957، ص. 253)

من مميزات شعر الطبيعة الأندلسي الصبغة الإنسانية الّتي يلقيها هؤلاء الشّعراء على الطبيعة عندهم، فابن عمّار تخيّل الجدول إنسانًا، وأعطاه سمات إنسانية، مبدعًا في تصوير تشوقه للقطر والندى، وشوق الجدول للمطر بما فيه من معالم الراحة والتشوق للخير والسرور ما هو إلا نفس الشّاعر التواقة إلى الخير والعطاء، فهو يبوح عمّا في نفسه من حب ورغبة بالتحرر، وهو يصور أيضًا الاندفاع نحو الحياة، فالطبيعة الأندلسية تعكس بوح الشّاعر عمّا في طبيعته أو عما تستوجبه هذه الطبيعة، فقد كان لطبيعة الأندلس أثرًا كبيرًا على نفوس الشعراء، وقد نقلوا من خلال صورها مشاعرهم وأحاسيسهم.

المطلب الثّاني،ص. الخطاب الشعري وتمثلات النفس في البنية السوسيولوجية للمجتمع الأندلسي

تعكس لغة القصيدة الأندلسية سمات المجتمع الأندلسي القائمة على الرقة والدماثة، فهي تنطلق من صورة الطبيعة لتصور بدورها الحالة الاجتماعية الهادئة في ذلك المجتمع، فنجد (ابن عمار الأندلسي) يترنم مع الرياض ويهتز طربًا وإعجابًا بما تضمه من مفاتن تثير أخيلته، وهذه المشاعر لا يمكن للشاعر التعبير عنها إلا في ظل حياة اجتماعية مليئة بالرخاء، وقد جذبته الأزهار بأريجها وألوانها الزاهية وعبقها الفواح فانتشى بها وسكر بشذا عطرها الأرج، قال ابن عمار متغزلًا:

مُتــأرجحِ الحركاتِ تَندَى ريـحهُ كـالغصنِ هزَّتْهُ الصبا بتنفـسِ

يَسعى بكاسٍ من أنامِلِ سوسنٍ ويديرُ أخرى من مَحَاجِرِ نرجسِ

(ابن عمار ، 1957، ص. 81)

نلمح التعبير الفني بأسلوب ولغة فنية تميل إلى الرّاحة، وتوحي بالرّخاء الّذي كان يعيشه المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت، ومن سمات دماثة ذلك المجتمع وحيويته هو تأثره بجميع ملامح الطبيعة، فصار الغزل صورة عن تلك الطبيعة بجماليتها ورونقها، فهو في هذا النص يعبر عن حركة المحبوبة من خلال تشبيهها بالغصن البّذي حركته الريح، ويصور حركية المحبوبة وحملها للكأس من خلال توظيف الكلمات الرقيقة الموحية (أنامل سوسن، محاجر نرجس) لقد كانت تلك اللغة إشارة واضحة إلى دمث الحياة ورقتها، وفي مشهد آخر نرى الشاعر يتخذ من منظر سقوط الندى على أورق الأزهار لتصوير كرم الممدوح:

وما هذهِ الأشـعارُ ألا مــجامرٌ تطـوع فيها للنديَ قطع النــدى

وكنتَ نشرتَ الفضَل في وإنما نشرتُ سقيطَ الطلَ في ورقِ الوردِ (ابن عمار، 1957، ص. 16)

لقد لجأ الشّاعر الأندلسي إلى اللغة الرقيقة في تصوير الحالة الاجتماعية المعبرة عن كرم الممدوح، وتصوير عطاياه، فقد جعل الشّاعر من شعره مجامر متقدة ليشير إلى وضوح صفة (الكرم) في الممدوح، ثمّ شبّه عطاءه وفضله بقطرات الندى الصباحية التي تتساقط على الأزهار فتحييها، فقد عبّر الشاعر عن نمط اجتماعي هو (الكرم) وجعل الكرم محصورًا بصاحب السلطة الّذي يمتلك القدرة على إحياء الناس بكرمه وبفضله، وإذا وقفنا على شعر (ابن الآبار الخولاني) وجدنا يتغنى بملامح العفّة وهي أحد الملامح الاجتماعية التي تتبدّى واضحة في الشعر الأندلسي:

ومنعم غض القطاف عـذب الغروب للأرتشاف

قد صيغ من در الجما ل وصين في صدف العفاف

وسـقته أندية الشبا ب بمـائها حتى أنـــاف (الشنتريني، 1975، ص. 143 _144)

لطالما عبرت اللغة عن مفاهيم الجمال في واقع الحياة، وقد كانت حياة الأندلسيّ داخل مجتمعه مزيجًا من الرفاهية الموجودة في الجمال الطبيعي، ومن الرقة والأمان الموجودة في تفاصيل المرأة فكان غزلهم يعكس صورة للرفاهية التي كان عليها المجتمع الأندلسي آنذاك، فالشاعر الأندلسي لم يكن ليشبه امرأته الجميلة بالظبية أو البقرة الوحشية، وإنما يشبهها بالغصن الناعم الرقيق، ويصوّرها بأنّها كالدّرّ في جمالها، مستحضرًا الترف الاجتماعي في صورة زينة تلك المرأة، فلا نلمح في شعره إلا الكلمات الدالة على الرقة والجمال ، ونلمح صورة أخرى من الصّور التي يبثّ فيها الشاعر الأندلسيّ الحياة في الطلل للدلالة على رغد العيش واستقراره داخل المجتمع:

فيا حبذا تلك الرســـوم وحــبذا نوافح تهديها إلى صباها

تهادي المها الوحشي في عرصاتها يذكرنيه آنسات مهاهــا (ابن دراج القسطلي، 1961، ص.11)

يأتي الشاعر بصورة الظباء هنا في إطار تذكره للديار بعد أن استحالت رسومًا جامدة، والشاعر في هذا الموضع تؤرقه صورة الطلل البالي والرسوم البالية لذلك فهو يرغب بإعادة الحياة إليها ولا يكون ذلك إلا من خلال استحضار صورة الظباء وهي هنا (مها وحشي) يحمل سمات الجمال والحركية التي تحارب الأموات في الطلل وهي تعكس رغبة الشاعر في إعادة الحياة إلى الطلل والدار المهجورة تلك الدار التي تذكر الشاعر بالفناء والموت، والموت من أكبر المخاوف التي يواجهها الإنسان والتي ترتبط بخوفه من المصير المجهول والشاعر يحارب هذه المخاوف من خلال استحضاره لصورة الحيوان وهو المهاة الوحشية بما تحمله من جمالية شكلية ورمزية، فالمهاة ترمز إلى المرأة التي ترمز بدورها إلى الحياة، فالشاعر في هذا النص يحارب أموات الطلل وجموده بالحياة والحركية في صورة المهاة الوحشية.

لطالما كان الطلل يثير شعورًا بالغربة بسبب دلالته على الموت والفراق إلا أنّ الشّاعر قام ببثّ صور الحياة داخل ذلك الطلل معبرًا عن انطلاقة الأندلسي وإقباله على الحياة داخل مجتمعه الّذي يحيطه بالأمل والرعاية، ونلحظ أنّ الشّاعر قد جمع بين الطلل ووجود المرأة فيه ليرمز إلى غلبة الحياة داخل المجتمع الأندلسي على الأموات. (عطوان، 1970م، ص. 218 _220)

وكذلك نقف على أبيات أخرى للغزل تصوّر الاندماج والتنوع في المجتمع الأندلسي فها هو ذا ابن الحداد الأندلسي يقول،ص.

عساكِ بحقِ عيساكِ، مُرِيحةَ قلبيَ الشاكي فإن الحُسنَ قدّ وَلّاكِ إحيـائي وإهـــــلاكي وأولَعـني بصُلبـانٍ ورُهبـانٍ ونُسّـــاكِ ولم آتِ الكنائس عن هوىً فيهنَّ لـــولاكِ (ابن الحداد، 1990م، ص. 241)

لقد كان التخيل عند عبد القاهر الجرجاني جزءاً لا يتجزأ من العمل الفني فهو ينقل صورة مميزة عمّا يجول في خاطر الشّاعر وما يستطيع التأثير في قلب المتلقي (الجرجاني، 1991م ،ص.267) وابن الحداد هنا وظّف التخييل في نقل جانب من جوانب المجتمع

الأندلسي وهو جانب التنوع الديني بين الإسلام والمسيحية، فهو يتغزل بفتاة صليبية ويوظف المفردات (عيساك، صلبان، رهبان، نساك، الكنائس) مبيناً وجود هذه المظاهر كلّها في المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت.

ومنهم من استهجن هذا النّوع من أنواع التعايش قائلًا:

نادِ الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتُمُ؟

أسلمتمُ الإسلام في أيدي العِدَا وقعدتمُ!

وجب القيامُ عليكمُ إذْ بالنصارى قمتمُ!

لا تُنكروا شقَّ العصا فعصا النبيِّ شققتمُ (السنترين، 1975م، ص. 285)

إذ تعيد هذه الفكرة إحياء موضوع نشر الدّين والعقيدة في المجتمع الأندلسي وترفض التعايش السلبي من قبل الملوك الّذين وضعوا سلطتهم في أيدي الأعداء، وهو ينقل صورة من صور إعجاب الملوك بالرخاء وتساهلهم مع كثير من الأمور التي يرفضها الإنسان المسلم، فقد نقل الشعر الأندلسي جوانب مختلفة من المجتمع في ذلك الوقت، ونجح في رسم صورة صادقة عنه.

الخاتمة:

تحملنا القصيدة الأندلسية إلى عالم مبدعها فنجد أنفسنا أمام النّص الأندلسي بكلّ ما فيه من قيم ومعايير جمالية، ونجد أنفسنا نندمج في مشاركة الشّاعر بدماثة مشاعره ورقة لغته، وقد كانت القصيدة الأندلسية معبرة عن خلجات نفس صاحبها وهي تعكس في الوقت نفسه حالة المجتمع المشبع بالرقة والدماثة، ويمكن الوصول إلى مجموعة من النتائج بعد قراءة البحث ومن بينها،ص.

1. إن القصيدة تمثل وثيقة اجتماعية ونفسية مهمة يمكن من خلالها استقراء طبيعة البيئة الاندلسية
2. أظهرت الابيات الشعرية قدرة الشاعر الاندلسي على تحويل التجارب الخاصة إلى تجارب عامة تتجاوز بذلك حدود الزمن.
3. وظف الشعراء مجموعة كبيرة من الصور الطبيعية والفنية باعتبارها ادوات للتعبير الحال الحالة الاجتماعية والنفسية.
4. اتضح أن بوح النفس الإنسانية يعد أبرز مرتكزات الجمال الفني في القصيدة الأندلسية واضاف إليها طابع أنساني عميق.

المصادر والمراجع:

بن الخطيب، لسان الدين. (1997). نفح الطيب (تحقيق: إحسان عباس). بيروت: دار صادر.

ابن حزم الأندلسي. (1980). طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف (تحقيق: الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثالثة). القاهرة: دار المعارف.

ابن خفاجة. (2009). ديوان ابن خفاجة. بيروت: دار صادر.

ابن دراج القسطلي. (1964). ديوان ابن دراج القسطلي (الطبعة الأولى). منشورات المكتب الإسلامي.

أدونيس. (2019). الثابت والمتحول. بيروت: دار الساقي.

بوفرة، عبد الكريم. (2015). علم اللغة الاجتماعي: مدخل نظري. وجدة: جامعة محمد الأول.

بوقربة، لطفي. (2003). محاضرات في اللسانيات الاجتماعية. الجزائر: المركز الجامعي بشار.

ستولينتيز، جيروم. (د.ت). النقد الأدبي: دراسة أدبية وجمالية. (لم تكتمل بيانات المصدر).

حميد، بدير متولي. (1964). قضايا أندلسية. دار المعرفة.

الحميري. (1997). البديع في فصل الربيع (تحقيق: علي إبراهيم كردي، الطبعة الأولى). دار سعد الدين.

شلبي، سعد. (1978). البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر. القاهرة: دار نهضة مصر.

ابن بسام الشنتريني. (1975). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (تحقيق: إحسان عباس). تونس: الدار العربية للكتاب.

الجرجاني، عبد القاهر. (1991). أسرار البلاغة (تحقيق: محمود محمد شاكر). جدة: دار المدني.

العربي، سالم شريف. (2003). دراسات في الأدب الأندلسي (الطبعة الأولى). الأردن: دار شموع الثقافة.

عطوان، حسين. (1970). مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي. مصر: دار المعارف.

فروخ، عمر. (1981). تاريخ الأدب العربي (ج4). بيروت: دار العلم للملايين.

القيسي، فايز عبد النبي فلاح. (1989). أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري.

خالص، صلاح. (1957). محمد بن عمار الأندلسي: دراسة أدبية تاريخية مع جمع شعره. بغداد: مطبعة الهدى.

هدسون. (1990). علم اللغة الاجتماعي (ترجمة: محمود عياد، ومراجعة: أبو زيد، الطبعة الثانية). القاهرة: عالم الكتب.

هيكل، أحمد. (2010). الأدب الأندلسي. دار غريب للطباعة والنشر

. **References**

Adonis. (2019). *The constant and the changing*. Dar Al-Saqi.

Al-Arabi, S. S. (2003). *Studies in Andalusian literature* (1st ed.). Dar Shumou Al-Thaqafa.

Al-Himyari. (1997). *The marvelous in the spring season* (A. I. Kurdi, Ed., 1st ed.). Dar Saad Al-Din.

Al-Jurjani, A. A. (1991). *Asrar al-Balaghah* (M. M. Shaker, Ed.). Dar Al-Madani.

Al-Qaysi, F. A.-N. F. (1989). *Epistolary literature in Andalusia in the fifth century AH.*

Al-Shantarini, I. Bassam. (1975). *Al-Dhakhira fi Mahasin Ahl al-Jazira* (I. Abbas, Ed., Vol. 3). Arab House for Books.

Atwan, H. (1970). *Introduction to the Arabic poem in pre-Islamic poetry*. Dar Al-Maaref.

Boufra, A.-K. (2015). *Sociolinguistics، ص. A theoretical introduction*. Mohammed I University.

Bougarba, L. (2003). *Lectures in sociolinguistics*. Institute of Literature, University Center of Bechar.

Farroukh, O. (1981). *A history of Arabic literature* (Vol. 4). Dar Al-Ilm Lil-Malayin.

Hamid, B. M. (1964). *Andalusian issues*. Dar Al-Ma'rifah.

Haykal, A. (2010). *Andalusian literature*. Dar Gharib for Printing and Publishing.

Hudson. (1990). *Sociolinguistics* (M. Ayad & M. Abu Zaid, Trans., 2nd ed.). Alam Al-Kutub.

Ibn al-Khatib, L. al-D. (1997). *Nafh al-Tayyib* (I. Abbas, Ed.). Dar Sader.

Ibn Ammar al-Andalusi. (1957). *Muhammad ibn Ammar al-Andalusiص. A literary and historical study with a collection of his poetry* (S. Khalis). Al-Huda Press.

Ibn Darraj al-Qastali. (1964). *The collected poems* (1st ed.). Publications of the Islamic Office.

Ibn Hazm al-Andalusi. (1980). *The ring of the dove* (A. A. Makki, Ed., 3rd ed.). Dar Al-Ma'arif.

Ibn Khafajah. (2009). *The collected poems*. Dar Sader.

Shalabi, S. (1978). *The Andalusian environment and its influence on poetry*. Nahdet Misr Publishing House.

Shaker, S. H. (2010). *Imagery in the poetry of Nizar Qabbani* (1st ed.). Dar Al-Manahij for Publishing and Distribution.

Stolnitz, J. (2010). *Literary criticismص. A literary and aesthetic study*. Dar Al-Manahij for Publishing and Distribution.